

(فصل في إثبات صفة الكلام)

ص (ومن صفات الله تعالى أنه متكلم بكلام قديم، يسمعه موسى عليه السلام منه من غير واسطة، ومن أذن له من ملائكته ورسله، وأنه سبحانه يكلم المؤمنين في الآخرة وبكلمونه، وبأذن لهم فيزيزورونه، قال الله تعالى { وَكَلَمُ اللَّهِ مُوسَى تَكْلِيمًا } [النساء]- وقال سبحانه: { يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُ عَلَيَّ النَّاسَ يَرْسَالُهُ إِلَيْكَ لِتَكْلِيمَهُ } [الأعراف]- وقال سبحانه: { وَمَا كَانَ لِيَشْرُكَ أَنْ يُكَلِّمَ اللَّهُ إِلَّا وَجْهِيَ أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ } [الشورى]. س 32 (أ) ما تقول في صفة الكلام لله. (ب) وما معنى كون كلامه قدما. (ج) وكيف كلام الله موسى. (د) وما الدليل على أنه يكلم الناس في الآخرة (هـ) وماذا يؤخذ من قوله تعالى: { وَمَا كَانَ لِيَشْرُكَ أَنْ يُكَلِّمَ اللَّهُ إِلَّا وَجْهِيَ } ؟ ج 32 (أ) مسألة إنكار الكلام من أقدم ما أحدهه المبدعة، وقد بالغ السلف في إثبات صفة الكلام لله وبينوا بطلان أقوال النفاية من الجهمية ونحوهم، وأثبتوا أن الله تعالى متكلم ويتكلّم إذا شاء بكلام يسمعه منه من شاء، وبينوا أن صفة الكلام صفة مرح، وأن سلبها نقص وعيوب وهو الخرس، وقد عاب الله عجلبني إسرائيل بقوله { أَلَمْ يَرُوا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ } [الأعراف]. (ب) وعند أهل السنة أن كلام الله قدّيم النوع، متعدد الأحاديث، ومعنى كونه قدّيم النوع أن جنسه قدّيم، فالله تعالى متصف في الأزل بكونه متكلما، فإن الله بجميع صفاته ليس بحادث، ولكنه لا يزال يتجدد ويحدث له كلام إذا شاء، وصفة الكلام من الصفات الفعلية الملزمة للذات متى شاء. (ج) وقد ذكر الله أنه كلام موسى تكليما، ولهذا يسمى موسى كليم الرحمن، ولا يشك أهل السنة أن موسى عليه السلام سمع كلام الله حقيقة، لا بواسطة ملك، ولا مترجم، بل منه إليه، لأن الله قال له { إِنَّمَا أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا } - [طه]- ولا يصح أن يقول هذا مخلوق، فتحقق أنه عين كلام الله الذي سمعه موسى وقال تعالى { إِنِّي اصْطَفَيْتُ عَلَيَّ النَّاسَ يَرْسَالُهُ إِلَيْكَ أَخْتَرْتُكَ وَخَصَّيْتُكَ بِإِرْسَالِيِّ لَكَ إِلَى فَرْعَوْنَ وَإِلَى قَوْمَكَ من بني إسرائيل، وبنكليمي لك كلاما مني إليك، ثم إن قوله: { مِنْهُمْ مَنْ كَلَمَ اللَّهُ } يراد به موسى وقد حاول بعض الجهمية من بعض القراء أن يقرأها بنصب الجلالة، حتى يكون موسى هو الفاعل لينفي عن الله أنه هو المتكلّم، ولكن أورد عليه قوله تعالى { وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَمَهُ رَبُّهُ } - [الأعراف] فهي صريحة فيه أن رب هو الفاعل. وقد تكلّف الجهمية وغيرهم من نفاة الكلام تأويلاً لهذه الآيات، حتى فسر بعضهم قوله تعالى { وَكَلَمُ اللَّهِ مُوسَى تَكْلِيمًا } بقوله: المراد جره بأطافير الحكمة. لأن الكلم الجرح في اللغة. وهذا تحريف للكلام عن موضعه، يرده توارد المعنى بالفاظ كثيرة يفهم منها صريح الكلام. ويرده قوله تعالى { يَرْسَالُهُ إِلَيْكَ وَبِكَلَمِي } ولم يقل (بكلمي) بإسكان اللام حتى يفسر بالجرح، ويرده آيات النداء كما يأتي بعضها قرباً إن شاء الله وكذا آيات القول والحديث ونحوها- والله تعالى يكلّم من أراد من خلقه، فيكلّم جبريل من وحيه بما أراد، وكلم محمدا صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء، كما يأتي في الأحاديث. (د) وأما تكليمه للناس في الآخرة فدليله قوله عليه الصلاة والسلام { مَا مِنْكُمْ مَنْ أَحَدٌ إِلَّا سِيَّكُلْمُهُ رَبُّهُ، لَيْسَ بِنَهْ وَبِنَهْ تَرْجِمَانُهُ } وكذا الأحاديث الكثيرة في نعيم أهل الجنة، وأن منه زيارتهم لربهم، وكلامهم منه الرضا... إلخ، وهي أحاديث متداولة بين الأئمة، مروية في أمهات الكتب، وفيها التصرّح بأنهم يسمعون كلام الله حقيقة كما شاء. (هـ) أما قوله { وَمَا كَانَ لِيَشْرُكَ أَنْ يُكَلِّمُ اللَّهُ إِلَّا وَجْهِيَ } ففيها أنه تعالى لا يكلّم في الدنيا أحداً من البشر مقابلة، ولا يتمكّن أحد منهم من رؤيته، لاتصافه تعالى بالعلو، والكمبياء والعظمة، ولضعف تركيب البشر عن الاستقرار والثبوت لذلك ثم أخبر أنه ينزل الوحي والشرع على من اختاره لذلك، بواسطة الملك، أو يلهمه ويلقيه في روعه، وقد يكلّم البعض من وراء حجاب كما كلام موسى، وقد يرسل رسولاً من الملائكة فيكلّم البشري بما أرسله الله به.